Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يعود بشار ــ فى هذه القصيدة ــ إلى القديم مستقياً معانيه وألفاظه منه ، وعلى الرغم مما بذله بشار من جهد فى تمثل تجربة القديم وعرضها للخليفة المهدى مشبعة بأنفاس القدماء وروحهم ، إلا أن روح العصر العباسى كانت تظهر جلية فى أشعاره من خلال التراكيب ولعبه بالألفاظ التى أعمل بشار فكره فيها . ففى البيت الأول ، تتضح لعب بشار اللفظية كما يتضح ما بذله من عناء ذهنى لتحقيق المجانسة بين لفظى « مر ، وممزج » ، والتصريع بين « ممزج وأعوج » . وفى ألفاظه « أعوج ، يتلجلج ، يتحرج ، المحدج ، الشمرح ، أمعج » ، نرى بشاراً مسوقاً إلى تلك الألفاظ بحكم التفخيم وطبيعة الموضوع القديم ، فهو يدرك ما تعطيه حروف العين والجيم من إيحاءات التفخيم والتعظيم ، لذلك فهو يسوقها فى الأبيات مكثراً منها لإشباع رغبة المهدى فى وضعه بجو المدائح القديمة . وسعى بشار إلى المبالغة والتفخيم والتعظيم يتضح كلما توغلنا فى الأبيات التى تفصح عن نزعة التصنع اللفظية التى ركبها بشار فى سبيل الوصول إلى غرضه ، وإلا فأى تعقيد هذا الذى ركب إليه هذا المركب الوعر ؟ .

يقول بشار بن برد :

لَقَدْ سَرَّنِي فَأل جَرَى مِنْ مُوَفَّقٍ وتَأوِيلُ مَا قَالَ الغُرَابُ المُشَحَّجُ
فَهَيَّجْتُ مِسْ قَالَ العَشِيِّ شِمِلَّةٌ تَزِفُّ كَمَا زَفَّ الهِجَفُّ السَّفَنَّجُ[٣٨]

فقد حلّ التعقيد اللفظى فى البيتين محل الجزالة التى كانت سمة شعر الجاهليين فى ألفاظهم ، إن تقليد بشار أركبه مركباً وعراً ، وجعله يطلب من الألفاظ ما فضحَ مساعيه إلى الجزالة والتفخيم المتصنعين . بماذا نفسّر التجانس بين لفظتى « هيجت ، والهجف » ، وبين تكرار « تزف ، وزف » فى شطر واحد ، وبين هذا التعقيد اللفظى الذى غصت به الأبيات ، إنها نزعة الإغراب والتصنع فى نطاق التقرب من تجربة الماضين .

(٣٨) المصدر نفسه ٢ : ٦٤ .